دردشةٌ عابرة

بقلم: أدما حبيبي

جلست في سريري أراقب من نافذة غرفتي في المستشفى زُرقةَ السماء وصفاءَها، وأستمع إلى صوت العصافير وهي تزقزق فرحةً وتطير من غصن إلى غصن، بينما منظرُ المياه وهي تنبعث بقوة من النافورة في وسط البحيرة يجذبُ نظرَ العابرين ويهدئ من أعصاب المتوترين والخائفين. فصوتُ المياه المترقرقِ يبعث في النفس الهدوء والسكينة. وبينما أنا أتأمل وأفكر، تتالتِ الخواطرُ في ذهني. فالتفتُّ إلى زوجي وقلت له: بالحق ما أعجبَ خليقةَ الله وما أجملَها. لا بل الأعجبُ منها هو الإنسانُ نفسه. فتكوينُه عجيبٌ والنظامُ الذي يسير عليه جسمُه أكثرُ عجباً. قال لي: بالحق نطقتِ، كلامك هذا ذكّرني بكلمات داود النبي في المزمور المئة والتاسع والثلاثين. قلت: كيف وبهذه السرعة تندمل جراحُ الجسم التي تعرَّضت إلى مِبضع الجرّاح؟ كيف وبهذه السرعة تعود الخلايا إلى التجدُّد لتحلَّ محلَّ القديمة والميتة؟ ثم كيف يبقى الإنسانُ معافىً حينما تُجرى له عمليةٌ جراحيةٌ يتخلَّص فيها الطبيب المختص من أعضاءَ باتتْ تعرِّضُ جسدَه للمرضِ والألم؟

نعم، تبدو هذه الأمور عادية وطبيعية للأطباء ، لكن إذا فكرنا فيها ملياً وتوقَّفنا عندها هنيهةً فسنعلم أنَّ وراء نظام الشفاء في الجسم، هناك منظِّم لكلِّ كبيرةٍ وصغيرة فيه، ووراءَ هذه الخليقة الباهرة مجتمعةً، هناك خالقٌ عظيمٌ ومبدعٌ يريد أن يعرفَه البشرُ أجمعون.

وبينما أنا وزوجي نتحدث ونتأمل، إذا بممرّضتي ليلي **Lily** تدخل إلى غرفتي لتناولني حبوب الدواء . فسألها زوجي عن بلدها الأصلي، فقالت بأنها صينية كانت تسكن في فيتنام مع عائلتها، وقد هاجرت إلى أميركا حين كانت بعد صغيرة. وهنا دخلت أنا في الحديث وقلتُ لها: كنا نتكلم أنا وزوجي للتوّ عن خليقة الإنسان العجيبة يا ليلي، وكيف أنَّ لدى أجسادنا قدرة على العودة من جديد إلى الشفاء والتعافي. هل تعرفين يا ليلي أنَّ الله سبحانه وتعالى يعرفنا من قبل أن نولد؟ قالت كيف؟ قلت لها: يشهد بهذا النبي داود ويقول عن الله: "**يارب قد اختبرتني وعرفتني، أنت عرفت جلوسي وقيامي.. عجيبةٌ هذه المعرفة فوقي ارتفعت لا أستطيعها.. لأنَّك أنت اقتنيت كليتيَّ. نسجتني في بطن أمي. أحمدك من أجل أني قد امتزت عجبا**..." (مزمور ١٣٩)

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

عندها سألتُ ليلي التي كانت تصغي إليَّ بكل انتباه وقلت: هل قرأتِ الكتاب المقدس يا ليلي؟ قالت : كلا.. فأنا لست مسيحية بل بوذية. ولقد تعلّمت من أهلي تعاليم بوذا. فقلت لها وما هي هذه التعاليم؟ قالت : بوذا يعلّم بأننا كبشر نعود إلى الحياة من جديد، أي نتقمَّص. فإذا كان الإنسانُ منا صالحاً، يعود ليتقمَّص من جديد في إنسان آخر ، أما إذا كان رديئاً فيعود ليظهرَ على شكل كلب أو قطة . وأنا الآن أقف أمامكِ إنسانة لأنه سبق أن كان أحد ما إنساناً صالحاً فتقمَّص بي.

قلت لها: أليس في هذا يا ليلي ما ينتقصُ من قيمة الإنسان؟ الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى على صورته ومثاله؟ إذ كيف يمكن أن يعود هذا الإنسان لكي يصبح طيراً أو كلباً أو إلى ما هنالك من حيوانات ؟ قالت هكذا تعلمت من أهلي وهكذا نشأت. قلت لها: ألم تفكري يوماً في قرارة نفسك كيف يمكن أن يحدث هذا؟ فالإنسان هو غير الحيوان ، لأنَّ الإنسانَ مخلوقٌ على صورة الله ، ولقد نفخ فيه اللهُ الخالق نفسه من روحه. فصار الإنسان نفسا حية وفيه روح خالد. أما الحيوان فليس لديه هذه الميّزة لذا فهو يعيش ونهايته الموت. أما الإنسان فروحه تبقى خالدة لأنها قبَس من روح الله نفسه. قالت: أنا أسمع هذا الكلام لأول مرة. عندها أخبرتها كيف أن الله منذ البدء ميَّز الإنسان عن الحيوان حين خلقه على صورته تعالى، ومنحه الإرادة الحرة لكي يختار الخير ويبعد عن الشر. لكن وللأسف اختار آدم أن يعصى الله هو وحواء، فسقطا في خطية العصيان. وعليه لم تعدْ له شركة مع الله الذي هو مخلوق على صورته ومثاله. لكنَّ الله المحب لم يتركِ الإنسان هكذا بعيداً عنه يائسا فاشلا. بل أعدَّ له خلاصا عظيماً إذا أرسل له المخلص يسوع المسيح لكي يخلّصه من عقاب خطيته .

وهنا توقفتُ لحيظة وسألتها : هل سمعتِ بيسوع المسيح المخلص؟ قالت: سمعت شيئاً زهيداً عن مريم ويسوع. وأنَّ يسوع عند المسيحيين هو مثل بوذا عندنا نحن البوذيين. قلت لها: إن يسوع أتى لكي يبرهن للبشر أجمعين عن محبة الله العظمى والشاملة. لم يأت للمسيحيين أو للبوذيين أو لليهود. ولابد أنك يا ليلي قد سمعت من خلال التلفزيون أو الراديو هذه الآية المقدسة ولو مرة واحدة. قالت وما هي؟ قلت لها:"**لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.**" قالت: نعم سمعتها من قبل، ورأيتُ دموعاً تترقرق في مآقيها. عندها تابعتُ و قلت: إنَّ الله بيّن محبته لي ولكِ ولكل إنسان في هذا الوجود إذ أرسل يسوع المسيح ومات على الصليب حتى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. إذن خلاصك من الخطية يا ليلي لا يكون بواسطة أي عمل تقومين به، بل عن طريق بالإيمان بما عمله يسوع المسيح عنك.

قالت ليلي: أستأذن يا أدما، عليَّ أن أعود إلى عملي الآن. قلت لها: اذهبي ، لكن أنصحك قبل أن تخرجي بأن تقرأي الكتاب المقدس يا عزيزتي.

قال لي زوجي عندئذ: نعمَ ما فعلتِ.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

نعم ليس ليلي فحسب، بل رجعت بي ذاكرتي إلى أسابيع خلت حين استأجرنا بعض العمال لكي يقوموا بتنظيف السجاد في بيتنا، ولما سألناهم أنا وزوجي من أين هم: قال واحد منهم أنا يهودي من المغرب. وقال الثاني : أمي إيطالية وأبي يهودي من تونس. فقال له زوجي عندئذ: إذن لابد أنك سمعت أن المسيا يسوع المسيح قد أتى لكي يخلصك ؟ قال التونسي: لا، ولكني غير مكترث به ولا بما عمله من أجلي. بالطبع، لكم أحزننا هذا الجواب غير المبالي.

ومنذ مدة قصيرة فقط قرأت في **كتيب "خبزنا اليومي"** عن هذا الموضوع بالذات قال فيه الكاتب:

لو أردنا أن نختار الشخصية الأكثر تأثيراً على مر العصور والأزمان لما اخترنا سوى شخص الرب يسوع المسيح. كتب **Reynold Price** في مجلة **Time** شهر ديسمبر ١٩٩٩ وتحت عنوان "**يسوع الناصري**" هذا التصريح قال: " يمكن أن نطرح هذه القضية للجدل الجَّدي بأنه ما من شخص برهنت حياته عن قوة شخصيته وقدرة تحمّله كيسوع المسيح." وهكذا عندما صرح –الرجل المولود في مدينة بيت لحم المتواضعة منذ ألفي عام تقريبا– صرح وقال:" **أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة.."(يوحنا ٨: ١٢)** – وأيضا: "**السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول."(لوقا٢١: ٣٣)** كان بالتالي، يتنبأ مسبقا عمّا أثبته التاريخ فيما بعد. لا نقدر أن ننكر أن أكثر شخص ترك تأثيراً على البشر هو شخص الرب يسوع المسيح ، لكن هل حقا ترك أثرا على حياتك أنت يا قارئي العزيز؟ ثم هل تضعه في صف الآخرين من العظماء الذين تركوا أثرا في تاريخ البشر؟ أم أنه حقا قد غيّر حياتك وحوَّلها رأسا على عقب؟ إنه يختلف يا قارئي عن باقي البشر العظماء لأن هؤلاء ماتوا وتركوا هذه الحياة. أما يسوع المسيح فهو حي إلى الآن وهو جالس في السماء يشفع فينا.

إن كلمات الرسل الأوائل لا زالت تتردد عبر العصور والأجيال وهم يشهدون عن هذه الشخصية الفريدة من نوعها التي غيَّرت مجرى التاريخ. نعم فأصواتهم ما برحت ترن في الآذان وتقول: **لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص. (أعمال ٤: ١٢)**

فهل اتخذت من يسوع المسيح مخلصا شخصيا لك؟ وهل صار رفيقك الدائم في رحلة الحياة ؟ عندما تفعل ذلك تستطيع عندها أن تشهد وتقول بالحق إنه أعظم اسم وشخصية في التاريخ البشري بأكمله، **إنه المخلص الذي أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك.**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service